

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]

❖ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

رَبْطُ فَرْضِ الصَّيَامِ الْفَاضِلِ بِزَمَانِهِ الْمَفْضَلِ:

التَّناسُبُ بَيْنَ
تَشْرِيعِ الصَّيَامِ
لِتَرْبِيَةِ الْقِيَمِ،
وَزَمَانِ نَزُولِ
الْقُرْآنِ بِالْقِيَمِ

”بعد أن بيّن سبحانه وتعالى فرضية الصّوم أياماً معدودات، ذكر الله تعالى تلك الأيام وعيّنها بشهر رمضان“⁽¹⁾، ”ولمّا أبهّم الأمر أولاً في الأيام وجعله واجباً مُخَيِّراً على المطيق، عيّن هنا، وبتّ الأمر فيه، بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾؛ لأنّ ذلك أضخم وأكد من تعيينه من أوّل الأمر“⁽²⁾، ”وكانّ الحقّ سبحانه وتعالى، حينما هيأ للعقول البشريّة الواضعة للألفاظ، أن يضعوا لهذا الشهر ذلك الاسم، دلّ على المشقّة التي تعتري الصّائم في شهر رمضان، وبعد ذلك يعطي له سبحانه منزلة تؤكّد لماذا سُمّي: إنّهُ الشَّهر الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ؛ والقرآن إنّما جاء منهج هداية للقيم، والصّوم امتناع عن الاقتيات، فمنزلة الشَّهر الكريم، أنّه يرَبّي البدن، ويربّي النّفس، فتناسب أن يوجد التّشريع في تربية البدن، وتربية القيم، مع الزّمن الذي جاء فيه القرآن بالقيم“⁽³⁾.

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿رَمَضَانَ﴾: أصل مادّة (رَمَضَ) يَدُلُّ عَلَى حِدَّةٍ فِي شَيْءٍ مِنْ

رَمَضَانُ عِلْمٌ
جَنَسٌ عَلَى شَهْرٍ
الصَّوْمِ الْأَبْرَكِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/555.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 3/56.

(3) الشّعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر): 2/773.

حَرٌّ وَغَيْرِهِ. فَالرَّمَضُ: حَرُّ الْحِجَارَةِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ⁽¹⁾، وَرَمَضَانُ: عَلِمَ عَلَى شَهْرِ الصَّوْمِ، وَهُوَ عَلِمَ جَنْسٍ، وَيُجْمَعُ عَلَى: رَمَضَانَاتٍ وَأَرْمِضَةٍ، وَيُقَالُ: رَمَضَ الصَّائِمُ يَرْمِضُ: احْتَرَقَ جَوْفُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ، وَيُقَالُ: أَرْمَضَتْهُ الرَّمْضَاءُ: أَحْرَقَتْهُ. وَقِيلَ: سُمِّيَ رَمَضَانُ؛ لِأَنَّهُ يَرْمِضُ الذُّنُوبَ، أَي: يُحْرِقُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ⁽²⁾، وَهُوَ "فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ رَمَضَ، إِذَا احْتَرَقَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، فَاضْيَفَ إِلَيْهِ، وَجُعِلَ عَلَمًا، وَمُنَعَ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ وَزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالنُّونِ، وَالْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ مَعْنَاهُ وَعِبَادَةِ الصَّائِمِ وَاضْحَةٍ، وَالْعَرَبُ يَضِيفُونَ لِفِظِ شَهْرِ إِلَى كُلِّ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّهْرِ الْمُبْتَدِئَةِ بِرَاءِ، كَرَبِيعٍ وَرَمَضَانَ، وَلَمْ يَسْتَنْ مِنْ ذَلِكَ سِوَى رَجَبٍ، فَلَا يَضِيفُونَ إِلَيْهِ لِفِظِ شَهْرٍ، وَقَدْ نَظِمَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ فَقَالَ:

وَلَا تُضِفْ شَهْرًا إِلَى اسْمِ شَهْرٍ *** إِلَّا بِأَوَّلِهِ الرَّأ فَادِرْ
وَاسْتَنْ مِنْهُ رَجَبًا فَيَمْتَنِعَ *** لِأَنَّهُ فِيمَا رَوَوْهُ قَدْ سَمِعَ⁽³⁾

(2) ﴿وَالْفُرْقَانُ﴾: أَصْلُ مَادَةٍ (فَرَقَ) يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَنْزِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ⁽⁴⁾. "وَالْفُرْقَانُ: كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، لِفَرْقِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَالصُّدُقِ وَالْكَذِبِ فِي الْمَقَالِ، وَالصَّالِحِ وَالطَّالِحِ فِي الْأَعْمَالِ"⁽⁵⁾، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى: الْفَصْلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

القرآن فرقان
الله للنزل
لهداية الإنسان

وَالْفُرْقَانُ فِي التَّنْزِيلِ مَوَاضِعٌ، تَفْسَّرُ بِحَسَبِ سِيَاقِهَا.

(3) ﴿شَهِدَ﴾: (شَهِدَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ⁽⁶⁾، أَي: حَاضِرٌ. وَمَعْنَى الشُّهُودِ: الْحُضُورُ"⁽⁷⁾، قَالَ الْمُطَرِّزِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: "عَلَى مَعْنَى: فَمَنْ كَانَ حَاضِرًا مُقِيمًا، غَيْرَ مُسَافِرٍ فِي الشَّهْرِ، فَلْيَصُمْهُ، أَي: فَلْيَصُمْ فِيهِ، (وَالشَّهَادَةُ) الْإِخْبَارُ بِصِحَّةِ الشَّيْءِ، مُشَاهَدَةً وَعِيَانًا، يُقَالُ: شَهِدَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رمض).

(2) أبو حيان، البحر للحيط: 2/173.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/260.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرق).

(5) الزاغبي، المفردات: (فرق).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).

(7) الواحدي، التفسير البسيط: 3/582.

عِنْدَ الْحَاكِمِ لِفُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ بِكَذَا شَهَادَةً، فَهُوَ شَاهِدٌ، وَهُمْ شُهُودٌ وَأَشْهَادٌ، وَهُوَ شَهِيدٌ، وَهُمْ شُهَدَاءٌ⁽¹⁾، وَصَلِينَا صَلَاةَ الشَّاهِدِ، أَيُّ: صَلَاةَ الْمَغْرِبِ؛ لِأَنَّ الْغَائِبَ لَا يَقْصُرُهَا، بَلْ يُصَلِّيْهَا كَالشَّاهِدِ، وَالشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ، أَيُّ: الْحَاضِرُ يَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْغَائِبُ⁽²⁾.

(4) ﴿الْيُسْرِ﴾، ﴿الْعُسْرِ﴾: اليُسْرُ: ضِدُّ الْعُسْرِ⁽³⁾، وهما غالباً ما يتلازمان في سياقات الاستعمال في القرآن وغيره، و"اليُسْرُ في اللغة: معناه: السَّهولة، ومنه يقال للغنى والسَّعة: اليسار؛ لأنَّه يتسهَّل به الأمور، واليد اليُسْرَى، قيل: على التَّفَاوُلِ باليسر، وقيل: لأنَّه يتسهَّل الأمر بمعاونتها اليمنى"⁽⁴⁾.

وَأَمَّا الْعُسْرُ: فمن (عَسَرَ)، أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صُعُوبَةٍ وَشِدَّةٍ. فَالْعُسْرُ: نَقِيضُ الْيُسْرِ⁽⁵⁾، وهو الضِّيق والشِّدَّة والصُّعُوبَةُ⁽⁶⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ إِزَادَةٌ أَمْرٌ وَتَشْرِيعٌ، تَتَعَلَّقُ هِيَ بِالطَّاعَاتِ لَا بِالْمَعْصِيَةِ⁽⁷⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

دعوة للصوم في
شهر القرآن،
وبيان لأحكام
الصيام

"شهر رمضان الذي ابتداء الله فيه إنزال القرآن في ليلة القدر؛ هداية للناس إلى الحق، بإعجازه المختص به، فيه أوضح الدلائل على هدى الله، وعلى الفارق بين الحق والباطل، فمن حضر منكم الشهر وكان صحيحاً مقيماً؛ فليصم نهاره، ويُرخِّص للمريض والمسافر في الفطر، ثم يقضيان عدد تلك الأيام. يريد الله تعالى بكم اليسر والسَّهولة في شرائعه، ولا يريد بكم العسر والمشقة، ولتكمّلوا عدّة الصيام شهراً، ولتختتموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر، ولتعظّموه على هدايته لكم، ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتيسير"⁽⁸⁾.

(1) الطَّرِيزِي، الغرب في ترتيب العرب، ص: 259.

(2) الْقَيُومِي، الصباح للنير: 1/324.

(3) الرَّاغِب، المفردات: (يسر).

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 3/586، وأبو حَيَّان، البحر المحيط: 2/174.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (عسر).

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي، مادة (عسر).

(7) الكفوي، الكلّيات، ص: 76.

(8) نخبة من العلماء، التفسير البسيط: ص: 28، والآلوسي، روح المعاني: 1/458.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سَبَبُ فَضْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

الجملة في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ إِذْ إِنَّ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 184]، يبعث في نفس السامع سؤالاً عن تعيين هذه الأيام، فجاء قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ جواباً عن ذلك السؤال، ويُقَوِّي هذا الوجه قراءة مجاهد بن جبر (شَهْرٌ) بالنَّصْبِ، على أنه بدلٌ من (أياماً) بدلَ تفصيل⁽¹⁾.

عِلَّةُ حَذْفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ حذف؛ إِذْ إِنَّ (شَهْرٌ) خبرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (هِيَ)، أَيِ: الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَحَذْفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ إِذَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِأَحْوَالِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، فَهُمْ يَحْذِفُونَ ضَمِيرَهُ⁽²⁾، وهذا التقدير؛ إِذَا جُعِلَتِ الْآيَةُ غَيْرَ نَاسِخَةٍ لصدْرِ الآية التي قبلها، "وَإِذَا جَوَزَتْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ نَسْخًا لصدْرِ الآية؛ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ (هِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ)، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ (شَهْرُ رَمَضَانَ) مُبْتَدَأٌ؛ خبره قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وَاقْتِرَانُ الْخَبَرِ بِالْفَاءِ حِينَئِذٍ مُرَاعَاةٌ لَوْصِفِ الْمُبْتَدَأِ بِالْمَوْصُولِ الَّذِي هُوَ شَبِيهُهُ بِالشَّرْطِ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ، أَوْ عَلَى زِيَادَةِ الْفَاءِ فِي الْخَبَرِ"⁽³⁾.

فتحصّل من هذا أن قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مرفوعٌ على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتقدير: هي شهر رمضان؛ فكان قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ تفسيراً للأيام المَعْدُودَاتِ، وتبييناً لها⁽⁴⁾.

إِشَارَةُ السَّامِعِ
وَبَعَثَ السُّؤَالَاتِ
فِي نَفْسِهِ يَشْهَدُ
إِلَى مُتَابَعَةِ
الْخِطَابِ

جَزَيَانِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ عَلَى
طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي
الِاسْتِعْمَالِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 169/2.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 169/2.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 169/2.

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 3/570.

الْبَيَانُ وَالتَّفْصِيلُ
أَنْسَبَ لِمَقَامِ
التَّشْرِيعِ؛ لِئَلَّا
تَلْتَبَسَ الْأَحْكَامُ
عَلَى الْعِبَادِ

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنِ التَّعْبِيرِ بِ(رَمَضَانَ) إِلَى التَّعْبِيرِ بِ(شَهْرِ رَمَضَانَ):

عُدِلَ عَنِ التَّعْبِيرِ بِ: (رمضان) إلى (شَهْرِ رَمَضَانَ) مع أَنَّ الْأَوَّلَ أَوْجَزُ وَأَخْصَرُ، وَالْإِيجَازُ - وهو من مطلوباتِ العربِ في كلامها - يقتضيه؛ لكونه الأشهرَ في فصيحِ كلامهم وعاليه، وللدلالة على استيعابِ جميعِ أيامِ الشهرِ بالصَّيَامِ؛ إذْ لو قال: (رمضان)؛ لكان ظاهرُ الدلالة على استيعابِ صومه، وليس نصًّا فيه، ولا سيَّما مع تقدُّمِ قوله: (أَيَّامًا)، فقد يتوهم السَّامِعُ أَنَّ الواجبَ صومُ أيامِ من رمضان، لا استيعابه بالصَّيَامِ، "فَالْمَعْنَى: أَنَّ الْجُزْءَ الْمَعْرُوفَ بِشَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَمَرِيَّةِ، هُوَ الَّذِي جُعِلَ ظَرْفًا لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّيَامِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الدِّينِ، فَكَلَّمَا حَلَّ الْوَقْتُ الْمُعَيَّنَ مِنَ السَّنَةِ، الْمُسَمَّى بِشَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَدْ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدَاءُ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ فِيهِ"⁽¹⁾، فكان العدولُ إلى التَّعْبِيرِ بِ(شَهْرِ رَمَضَانَ) أنسبَ لمقامِ البيانِ والتَّشْرِيعِ؛ لِئَلَّا تَلْتَبَسَ الْأَحْكَامُ عَلَى الْعِبَادِ.

نُكْتَةُ الْوَصْفِ بِالْأَسْمِ الْمَوْصُولِ وَصِلَتِهِ:

اختصاص شهر رمضان بتشريع وجوبِ الصَّوْمِ فيه؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، ففيه تذكير ببدءِ الوحي، واهتمامٌ بأكبرِ خيرٍ حلَّ بأهل الأرض، وهو بعثة النَّبِيِّ ﷺ الذي أرسله الله تعالى لإخراج النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وجعله رحمةً للعالمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]⁽²⁾.

ومجيءُ الوصفِ اسمًا موصولًا في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يُشْعِرُ بظاهرِهِ أَنَّ المخاطبينَ عَالَمُونَ بِأَنَّ نزولَ القرآنِ الْكَرِيمِ وَقَعَ فِي شهرِ رَمَضَانَ؛ إِذْ الْغَالِبُ فِي الصَّلَةِ أَنْ يَكُونَ السَّامِعُ عَالِمًا بِاِخْتِصَاصِهَا بِمَنْ أُجْرِيَ عَلَيْهِ الْمَوْصُولُ، وَلِأَنَّ نزولَ القرآنِ

نَزُولُ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ حَدَّثَ
دِينِي عَظِيمَ،
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لَا
يُخْفَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/171.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/556.

الكريم حدث ديني عظيم، من شأنه أن لا يخفى عليهم، فيكون الوصف بالموصول وصلته تذكيراً لهم بهذه المنّة الجليلة، "وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ إِعْلَامًا بِهَذَا الْفَضْلِ، وَأُجْرِي الْكَلَامَ عَلَى طَرِيقَةِ الْوَصْفِ بِالْمَوْصُولِ، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمَوْصُوفَ، مُحْتَصٍ بِمَضْمُونِ هَذِهِ الصَّلَةِ، بِحَيْثُ تُجَعَلُ طَرِيقًا لِمَعْرِفَتِهِ" (1).

وقد صار رمضان شهر نزول القرآن، وشهر الصيام معاً، "وَمَعْنَى ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ﴾، أنزل في مثله؛ لِأَنَّ الشَّهْرَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، قَدْ انْقَضَى قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الصَّوْمِ بَعْدَهُ سِنِينَ، فَإِنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ فَرَضَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهَجْرَةِ، فَبَيْنَ فَرَضِ الصِّيَامِ وَالشَّهْرِ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ حَقِيقَةٌ عِدَّةُ سِنِينَ، فَيَتَعَيَّنُ بِالْقَرِينَةِ أَنَّ الْمُرَادَ أَنْزِلَ فِي مِثْلِهِ، أَي: فِي نَظِيرِهِ مِنْ عَامٍ آخَرَ" (2).

نُكْتَةُ الْمَجَازِ لِلْمُرْسَلِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾:

المراد بإنزال القرآن في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ابتداءً نزوله على النبي ﷺ؛ إذ كان ابتداءً إنزاله عليه في رمضان، فوقع التعبير ههنا عن إنزال أوله باسم جميعه، على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الكلّية، "لِأَنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ الْمُنْزَلَ مُقَدَّرٌ الْحَاقُّ تَكْمِلَتِهِ بِهِ كَمَا جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: 92] وَذَلِكَ قَبْلَ إِكْمَالِ نُزُولِهِ، فَيَشْمَلُ كُلَّ مَا يَلْحَقُ بِهِ مِنْ بَعْدٍ" (3).

يَلْقُرَانِ الْكَرِيمُ
نُزُولَانِ نُزُولٌ
إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
جُمْلَةً وَاجِدَةً،
وَنُزُولٌ عَلَى النَّبِيِّ
مُنْجَمًا
بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ
وَالْأَحْدَاثِ

ويحتمل أن لا يكون من قبيل المجاز المرسل، بل من باب الحقيقة؛ ويكون المراد إنزال القرآن كله إلى سماء الدنيا؛ إذ إن القرآن الكريم نزولين؛ أحدهما: إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة، والآخر: إنزاله على النبي ﷺ منجماً بحسب الوقائع والأحداث (4).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/171.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/172.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/172.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 2/195.

ولا مانع من إرادة المعنيين معاً؛ حملاً للفظ على حقيقته ومجازه لعدم التعارض بينهما؛ ويكون المراد بالقرآن الكريم كله بحمل الإنزال على الإنزال الأول إلى سماء الدنيا، ويكون المراد به مبدأه، بحمل الإنزال على الإنزال الثاني على النبي ﷺ مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث، وأطلق على بعضه النازل أنه القرآن؛ تعظيماً لشأن المنزل، ولأنه مقدر الحاق تكملته به.

دلالة الوصف بالمصدر في قوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾:

عَظَمَةُ هُدًى
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لشهر رمضان خصوصيات، هذه الخصوصيات تتجلى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، فهما: "حالات من ﴿الْفُرْقَانِ﴾؛ إشارة بهما إلى وجه تفضيل الشهر بسبب ما نزل فيه من الهدى والفرقان" (1).

وانتصاب ﴿هُدًى﴾ من قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ على أنه حال، وهو بصيغة المصدر، وضع موضع اسم الفاعل، أي: هادياً للناس، إلا أن الوصف بالمصدر أبلغ من الوصف باسم الفاعل -والحال وصف لصاحبها في المعنى-، وفيه إشعار بعظمة هدى القرآن الكريم، ورشح هذه الدلالة تنكير ﴿هُدًى﴾؛ فإن تنكيرها -وإن كان هو الأصل؛ لكونها وقعت حالاً- دال على التعظيم والتفخيم.

دلالة اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾:

الصَّالُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ
تَعَالَى انْحَطَّتْ
دَرَكَائِهِمْ فَادَّ
يَسْتَحِقُّونَ
أَنْدِرَاجَهُمْ فِي
سَبِيلِ النَّاسِ

قول الله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلق بـ ﴿هُدًى﴾؛ لوقوعه موقع اسم الفاعل (هادٍ)، واللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ لاستغراق أفراد الجنس؛ فهو هادٍ لجميع الناس، وضلال من ضل بسبب خلل في القصد والإرادة عندهم لا بسبب القرآن الكريم، وفيه إيحاء إلى أن من ضل لا يستحق أن يصنف مع الناس.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/173.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَبِّتْ﴾ معطوفٌ على ﴿هُدًى﴾، وهما حالان لازمتان؛ إذ كَوْنُ القرآنِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ جَلِيَّاتٍ، وَكَوْنُهُ هُدًى: ثَابِتًا لَهُ غير منفكٍّ عَنْهُ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ الْإِطْنَابِ بِعَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾:

قول الله تعالى: ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿هُدًى﴾، و﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ في المعنى: حالٌ؛ لكونه معطوفاً على حالٍ وهو ﴿هُدًى﴾، والمعنى: أنزل الله القرآنَ بياناً للنَّاسِ.

الآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ
أَشْرَفُ أَنْوَاعِ
الْهُدَى

و﴿هُدًى﴾ و﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ حالان لازمتان؛ "لِأَنَّ كَوْنَ الْقُرْآنِ آيَاتٍ جَلِيَّاتٍ وَاضِحَاتٍ وَصَفٌ ثَابِتٌ لَهُ"⁽²⁾، وعطفُ ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ على ﴿هُدًى﴾ من عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ إذ الهدى منه ما هو ظاهرٌ، ومنه ما هو خفيٌّ؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ مشتملٌ على المحكمِ والمتشابهِ، ونكتة العطفِ ههنا: الإيماءُ إلى أَنَّ الْبَيِّنَاتِ أَشْرَفُ أَنْوَاعِ الْهُدَى؛ إذ به يَتَبَيَّنُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْمَوْعِظَةُ وَسَائِرُ الْأَحْكَامِ، ووجه شرفِهَا: أَنَّهَا مذكورةٌ مرَّتين؛ إحداهما مندرجةٌ تحت الجنس العامِّ وهو الهدى، والأخرى: مذكورةٌ على سبيل الانفراد والاستقلال، وفي هذا مزيدٌ عنايةً بهذا الفردِ الخاصِّ.

دَلَالَةُ ﴿الْهُدَى﴾ فِي مَوْضِعِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى﴾:

تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْهُدَى فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، والمرادُ بِالْهُدَى فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: ما في القرآنِ الكريمِ من الدَّلالةِ على المصالحِ العامَّةِ والخاصَّةِ، والمرادُ بِالْبَيِّنَاتِ

تَنْوَعُ ضُرُوبِ
الْهُدَايَةِ لِلْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ

(1) أبو حيان، البحر اللحيط: 2/196.

(2) أبو حيان، البحر اللحيط: 2/196.

مِنَ الْهُدَى: ما فيه من الاستدلال على ما خَفِيَ من الْهُدَى الذي يُبَكِّرُهُ كثيرٌ من الْخَلْقِ، فالهُدَى في الموضع الأول نوعٌ من الْهُدَى غير الذي أريد بِالْهُدَى في الموضع الثاني، فَالتَّكَرُّرُ حاصلٌ في اللَّفْظِ، وَإِلَّا فَإِنَّ لِكُلِّ موضعٍ معناه الْمغايرَ لِلآخر.

وما قاله بعض العلماء من أَنَّ الْهُدَى والفرقان في قوله: ﴿وَبَيَّنَتِ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ يُراد به: القرآن الكريم؛ فغيرُ ظاهر؛ لأنَّ الشَّيْءَ لا يكون بعضاً لنفسه⁽¹⁾.

دِلَالَةُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾:

الرُّجُوعُ إِلَى بَيَانِ
الْأَحْكَامِ تَأْكِيدًا
وَتَنْوِيهًا بِشَأْنِ
الصَّوْمِ

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، تفریع على قوله سبحانه قَبْلُ: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الَّذِي هُوَ بَيَانٌ لِّقَوْلِهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، فَهُوَ رُجُوعٌ إِلَى بَيَانِ حُكْمِ صِيَامِهِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ فِي قَبْلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وما في هذا مِنْ اسْتِثْنَاءٍ وَتَنْوِيهِ بِفَضْلِ الصَّوْمِ، "وَمَا يُرْجَى مِنْ عَوْدِهِ عَلَى نَفْسِ الصَّائِمِينَ بِالتَّقْوَى وَمَا حَفَّ اللَّهُ بِهِ فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ تَيْسِيرٍ عِنْدَ حُصُولِ مَشَقَّةٍ مِنَ الصِّيَامِ"⁽²⁾.

وينضمُّ إلى دلالة الْفَاءِ على التَّفْرِيعِ دَلَالَتُهَا على التَّعْقِيبِ، كما هو الْكَثِيرُ فِيهَا - وفيها أوجه أخرى -، قال أبو السَّعُود: "والفاءُ لِلتَّفْرِيعِ وَالتَّرْتِيبِ، أَوْ لِتَضَمُّنِ الْمَبْتَدَأِ مَعْنَى الشَّرْطِ، أَوْ زَائِدَةً على تَقْدِيرِ كَوْنِ شَهْرِ رَمَضَانَ مَبْتَدَأً، وَالْمَوْصُولُ صِفَةً لَهُ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ خَبْرٌ لَهُ"⁽³⁾.

نُكْتَةُ الْإِظْهَارِ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وضع

التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ
شَهْرِ رَمَضَانَ
وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ

(1) أبو حَتَّان، البحر المحیط: 2/196.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيهِ: 2/173.

(3) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 1/200.

المظهر مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ؛ إذ سبق ذكرُ الشَّهْرِ في صدر الآية في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، فكان مقتضى الظاهر ههنا أن يقال: (فَمَنْ شَهِدَهُ)، والنُّكْتة في الإظهار: التَّنْوِيه بشأن الشَّهْرِ وتعظيمه⁽¹⁾؛ إذ الاسم الظاهر أدخل في التَّعْظِيم من الضَّمير.

بِلَاغَةِ أَسْلُوبِ الاسْتِخْدَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: (شَهِدَ) في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ تحتل وجهين⁽²⁾:

إِنَارَةُ الْفِكْرِ
وَتَنْبِيهُ الدَّهْنِ
مِنْ طَرَائِقِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فِي تَرْسِيخِ
الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ
فِي نَفْسِ
الْمُتَلَقِّينَ لِلْخِطَابِ

أحدهما: أن يكون من الشُّهُودِ بمعنى الحضور، وهو خلافُ السَّفَرِ، والمرادُ بـ ﴿الشَّهْرِ﴾ أَيَّامُهُ، والضَّمير في قوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ راجعُ على ﴿الشَّهْرِ﴾ بالمعنى الذي دلَّ عليه الاسمُ الظاهر.

والآخر: أن يكون بمعنى الرُّؤية، ويكون ﴿الشَّهْرِ﴾ مستعملاً في الهلال؛ مجازاً مرسلاً بعلاقة السببية؛ إذ الهلال سببٌ في الحكم بدخول الشَّهْرِ، والضَّمير في قوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ راجعُ على ﴿الشَّهْرِ﴾ بغير المعنى الذي دلَّ عليه الاسمُ الظاهر؛ فإنَّ دلالة ﴿الشَّهْرِ﴾ على هذا الوجه يُرادُ بها الهلالُ مجازاً، والمراد بالضَّمير الرَّاجع إليه أَيَّامُ؛ إذ هي محلُّ الصَّوم؛ فيكون في الآية -على هذا الوجه- استخدامٌ، ونكته الاستخدام؛ ما فيه من الإيجاز، وهو من أعلى مطلوباتِ البلغاءِ في كلامهم، وَوَجَّهُ الإيجاز: أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أخصرُ من لوقيل: (فمن شهد منكم الشهر، فليصم أيام الشهر الذي كان الهلال سبباً فيه)، وفي الاستخدام فائدةٌ أخرى: وهو ما يُحَقِّقُهُ من تنبيهه المخاطبِ وإيقاظه وإثارة فكره؛ لأنَّ أوَّلَ ما يتبادرُ إلى ذهنه من الضَّمير في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ هو المعنى الذي استُخدم فيه اللفظُ المذكور ﴿الشَّهْرِ﴾، إلَّا أنَّه يُفاجأ بأنَّ الضَّمير قد استُخدم في معنى آخر، وفي هذا إثارة للفكر وتنبيه للذهن، فيكون أوقع في النَّفْسِ وأبلغ في الأثر وأقوى⁽³⁾.

(1) الهرري، حقائق الروح والريحان: 3/175.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/222.

(3) بسيوني فيثود، علم البديع، ص: 185-184.

تَعْيِينُ مَفْعُولٍ (شَهِدَ) مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾:

وَجُوبُ الصَّوْمِ
عَلَى الْحَاضِرِ فِي
الْبَلَدِ

مفعول ﴿شَهِدَ﴾ - بمعنى: حضر - في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ محذوفٌ، ولا يصحُّ أن يكون ﴿الشَّهْرَ﴾ مفعولاً له؛ لفسادِ المعنى؛ إذ ما من أحدٍ غابَ أو حضر إلا وهو شاهدُ الشَّهْرِ، ولكنَّ المعنى: من شهد منكم بيته أو بلدَه في الشَّهْرِ؛ فليصمه⁽¹⁾ وجوباً إذا لم يقم به مانعٌ، وحُذِفَ لظهورِ المعنى، فاستغنيَ بظهوره عن التَّنصيصِ عليه.

وقوله: ﴿الشَّهْرَ﴾ منصوب على الظرفية الزمانية، ولم يُنصب بإيقاع ﴿شَهِدَ﴾ عليه⁽²⁾.

سِرُّ تَكَرُّارِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مَعَ قَوْلِهِ قَبْلُ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾:

مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ
دَفْعُ إِبْهَامِ غَيْرِ
الْمَزَادِ

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تَكَرَّرَ مضمونُه مع قوله قبلُ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، وَوَجَّهَ تَكَرُّارِهِ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ صَوْمَ رَمَضَانَ وَاجِبًا عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَدْيَةِ بِالْإِطْعَامِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْأُولَى، وَبَيَّنَّ فِيهَا عَدَمَ وَجُوبِ الصَّوْمِ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ، وَأَنْهُمَا يَقْضِيَانِ مَا أَفْطَرَا فِيهِ فِي أَيَّامٍ أُخَرَ؛ جَاءَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، وَصَارَ صَوْمَ رَمَضَانَ وَاجِبًا عَلَى التَّعْيِينِ، لَا تَخْيِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَدْيَةِ فِي حَقِّ الْقَادِرِ، فَقَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّ هَذَا الْوَجُوبَ عَامٌّ لْجَمِيعِ الْأَفْرَادِ الْمَذْكُورِينَ، وَمِنْ جَمَلَتِهِمُ: الْمَرَضَى وَالْمَسَافِرُونَ، فَاحْتِيجَ إِلَى تَكَرُّارِ عَذْرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾، "فَاعِيدَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّاسِخَةِ؛ تَصْرِيحًا بِبَقَاءِ تِلْكَ الرُّخْصَةِ،

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 3/583.

(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 68.

وَنُسِخَتْ رُخْصَةُ الإِطْعَامِ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْحَضَرِ وَالصِّحَّةِ لَا غَيْرَ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى كَوْنِ هَاتِهِ الْآيَةِ نَاسِخَةً لِلَّتِي قَبْلَهَا⁽¹⁾.

وَأَمَّا تَوْجِيهِ التَّكْرَارِ مَعَ اعْتِبَارِ عَدَمِ النَّسْخِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾؛ فَيُوضِّحُهُ مَا أَكَّده الشَّيْخُ ابْنُ عَاشُور بِقَوْلِهِ: "فَإِنْ دَرَجْنَا عَلَى أَنَّهُمَا نَزَلَتَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؛ كَانَ الْوَجْهُ فِي إِعَادَةِ هَذَا الْحُكْمِ، هُوَ هَذَا الْمَوْضِعُ الْجَدِيدُ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ تَعْيِينِ أَيَّامِ الصَّوْمِ، وَأَمَّا مَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، فَهُوَ تَعَجُّيلُ الْإِعْلَامِ بِالرُّخْصَةِ رِفْقًا بِالسَّامِعِينَ، أَوْ أَنَّ إِعَادَتَهُ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنَّ الْأَوَّلَ مَنسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، إِذَا كَانَ شَهِدَ، بِمَعْنَى: تَحَقَّقَ، وَعِلْمٌ، مَعَ زِيَادَةِ فِي تَأْكِيدِ حُكْمِ الرُّخْصَةِ، وَلِزِيَادَةِ بَيَانِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾"⁽²⁾.

مِنْ مَظَاهِرِ
رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
بِالْعِبَادِ تَعَجُّيلُ
إِعْلَامِهِمْ
بِالرُّخْصِ؛ رِفْقًا
بِهِمْ

سَبَبُ فَضْلِ قَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ عَمَّا قَبْلُ:
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
مُسْتَأْنَفٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا، وَاقَعَ مَوْضِعَ التَّعْلِيلِ لِلرُّخْصَةِ، "وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْوَصْفِ الْعَامِّ لِشَرَعِ اللَّهِ تَعَالَى"⁽³⁾، فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يَبْعَثُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي سَوْأًا عَنْ حِكْمَةِ التَّرْخِصِ لِهَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ؛ فَجَاءَ الْجَوَابُ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، "أَيُّ: شَرَعَ لَكُمْ الْقَضَاءَ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِكُمُ الْيُسْرَ عِنْدَ الْمَشَقَّةِ"⁽⁴⁾، قَالَ السَّمْعَانِيُّ: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، يَعْنِي: فِي إِبَاحَةِ الْفَطْرِ بِالْمَرَضِ وَالسَّفَرِ، وَتَأْخِيرِ الصَّوْمِ إِلَى أَيَّامٍ أُخَرَ، وَحَكَى عَنِ

التَّيْسِيرُ مِنَ
الْعَالِمِ الْكَبَرِيِّ
لِلتَّشْرِيعِ
الْإِسْلَامِيِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/174.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/174-175.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/560.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/175.

إِظْهَارُ سَعَةِ
رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
بِالْعِبَادِ

الشَّعْبِيُّ أَنَّهُ قَالَ: مَا خَيْرُ رَجُلٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، فَاخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا؛ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ“ (1).

دَلَالَةُ الْمُقَابَلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ مقابلةً معنيين بمعنيين؛ فإنَّ الإرادة المثبتة في قوله: ﴿يُرِيدُ﴾ تقابلها الإرادة المنفية في قوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ﴾، واليُسْرُ يقابله العُسْرُ، وحقيقة المقابلة: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثمَّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، قال النيسابوري: ”﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، وهو مقامُ الوصول، و﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وهو ما في الطريق من الرياضة والمجاهدة، كالطبيب يسقي دواءً مرَّاً، فمرَّاده حصول الصَّحَّة لا إذاقة مرارة الدواء، وأيضاً: «كُلُّ ميسَّرٍ لما خُلِقَ له» (2)، لو لم يرد بنا اليسر، لم يجعلنا طالبين لليسر“ (3)، واستشهد بقول الشاعر:

لَوْلَمْ تَرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ *** مِنْ فَيْضِ جُودِكَ مَا عَلَّمْتَنِي الْطَلْبَا (4)

وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ يُستفادُ منه بطريقِ الفَحْوَى أَنَّ الله تعالى لا يُريدُ بالعبادِ العُسْرَ، ومع ذلك فقد صُرِّحَ بهذا المفهوم في قوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ زيادةً في البيان، ومزيداً لإظهارِ سعة رحمة الله تعالى بالعباد؛ فإنَّ دلالةَ المنطوقِ أقوى من دلالةِ المفهومِ.

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنْ جُمْلَةِ الْقَصْرِ إِلَى جُمْلَتَيْنِ: مُثَبِّتَةٍ وَمَنْفِيَةٍ:

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾: يتركَّب من جملتين متقابلتين، إحداهما تتضمن إثبات إرادة الله

مِنْ كَمَالِ الرَّأْفَةِ
الِإِلَهِيَّةِ نَفْيِ
الْخَرَجِ ضِمْنًا،
ثُمَّ نَفْيُهُ نَصًّا

(1) السَّمْعَائِيُّ، تفسير القرآن: 1/184.

(2) هذا جزءٌ من حديثٍ، رواه البخاري في صحيحه (4949)، ومسلم في صحيحه (2647).

(3) النِّسَابُورِيُّ، غرائب القرآن: 1/522.

(4) البيهقي للشاعر العباسي أبي الفتح البستي (ت: 400هـ)، وله بيت آخر مذكور معه، وهو قوله:

#يَا مَنْ عَذَا سَبَبًا حَتَّى عُرِفْتُ بِهِ *** حَسْبِي غَلَاكَ إِلَى نَيْلِ اللَّئِي سَبَبًا.

ينظر: ديوان أبي الفتح البستي، مطبوعات مجمع دمشق، ط 1، ص: 37 38.

تعالى اليسر بالعباد، والأخرى: تتضمن نفى إرادته تعالى العسر بهم، "وَقَدْ كَانَ يَقُومُ مَقَامَ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ جُمْلَةُ قَصْرٍ، نَحْوُ أَنْ يَقُولَ: مَا يُرِيدُ بِكُمْ إِلَّا الْيُسْرَ، لَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ جُمْلَةِ الْقَصْرِ إِلَى جُمْلَتَيْ إِثْبَاتٍ وَنَفْيٍ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ ابْتِدَاءً: هُوَ جُمْلَةُ الْإِثْبَاتِ؛ لِتَكُونَ تَعْلِيلًا لِلرُّحْصَةِ، وَجَاءَتْ بَعْدَهَا جُمْلَةُ النَّفْيِ تَأْكِيدًا لَهَا"⁽¹⁾، قال النيسابوري: "ومن كمال رأفته تعالى، أنه نفى الحرج أولاً ضمناً، بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾، ثم نفاه صريحاً بقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾، والظاهر أنّ الألف واللام في ﴿الْيُسْرَ﴾ و﴿الْعُسْرَ﴾ يفيدان العموم، فيمكن أن يُستدلّ بهما على عدم وقوع التكليف بما لا يُطاق"⁽²⁾.

الْعَطْفُ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ عاطفة على المعنى لا على ظاهر اللفظ، ووجه ذلك: أنّ الله تعالى أباح الفطر للمريض والمسافر تسهياً عليهما وتيسيراً، ورفعاً للمشقة عنهما، والمعنى: "فَعَلَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِيَسْهَلَ عَلَيْكُمْ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ إِذَا أَقَمْتُمْ وَبَرَأْتُمْ، وَالْعَرَبُ رَبِّمَا تَحْمِلُ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى، وَتَتْرَكُ اللَّفْظَ"⁽³⁾.

فقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ معطوفٌ على مُضْمَرٍ مَقْدَرٍ، أي: يريدُ الله بكم اليسر، ولا يريدُ بكم العسر، ليسهل عليكم، ولتكمّلوا العدة، فحذف الفعل (ليسهل عليكم)⁽⁴⁾، وجيء بالفعل بعدها معطوفاً؛ لينتقل الذهن إلى الكشف عن المعطوف بالتأمل وإعمال الفكر.

وفي تحليل السياق الإعرابي لهذه الآية ناقش النحاة دلالة (الواو)، قال الطبري: "اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعضهم: هي عاطفة على ما قبلها، كأنه قيل: ويريد لتكمّلوا العدة وتكبروا الله، وقال بعض نحوي الكوفة: وهذه (اللام) التي في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ لام (كي)، لو أقيمت كان صواباً، قال: والعرب تدخلها

مِنْ مَقَاصِدِ
الْحَذَفِ
اسْتِدْعَاءِ ذِهْنِ
الْمُتَلَقِّي إِلَى
التَّأَمُّلِ وَإِعْمَالِ
الْفِكْرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/175.

(2) النيسابوري، غرائب القرآن: 1/504.

(3) الواحدي، التفسير البسيط: 3/587.

(4) الباقولي، كشف المشكلات: 2/141.

في كلامها على إضمار فعل بعدها، ولا تكون شرطاً للفعل الذي قبلها، وفيها (الواو)، ألا ترى أنك تقول: (جئتُك؛ لتحسن إليّ)، ولا تقول: (جئتُك ولتحسن إليّ)، فإذا قلتَ فأنت تريد: ولتحسن جئتُك. قال: وهذا في القرآن كثير، منه قوله: ﴿وَلَتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113]“(1).

دَلَالَةُ اللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾:

اللامُ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ لام كَيّ، وهي لام التعليل، وليست لام الأمر، "ولو كانت لام الأمر؛ لجاز تسكينها مع الواو؛ لأنه إذا دخل على لام الأمر الواو أو الفاء أو ثم، جاز تسكينها وتحريكها، كقوله: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾“(2)، وفي إيراد الفعل مقروناً بلام التعليل إشعاراً بأن الأحكام التي يشرعها الله تعالى لعباده مقرونة بحكم جليّة، قد يُنصُّ على بعضها ويُطوى الآخر؛ حتّى للناس على استنباطها واستخراجها؛ للوقوف على بعض آثارِ حكمة الله تعالى في شرعه.

واللامُ هنا جائز أن تتعلّق بفعل مضمر، والمعنى: أمر الله تعالى بما أمر به لتكمّلوا العِدّة، "ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿الْيُسْرَ﴾، كأنه قيل: (يريدُ بكم اليسر وتكميل العِدّة)، فأدخل فيه اللام، كما أدخل في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء: 26]“(3).

دَلَالَةُ التَّغْلِيلَاتِ فِي ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، ﴿وَلِتَكْبِرُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

تكرّرت اللامُ الدالّة على التعليل في هذه الآية الكريمة، ﴿وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، ﴿وَلِتَكْبِرُوا اللَّهَ﴾، ونظير ذلك في التعليل قوله:

فِي تَشْرِيعِ
الْأَحْكَامِ حَكَمٌ
وَأَسْرَارٌ قَدْ تَظْهَرُ
لِلْخَلْقِ وَقَدْ
تَخْفَى عَنْهُمْ

غَايَةُ الْعَزِيمَةِ
الْمَفْرُوضَةِ
وَالرَّخْصَةِ
الْمَعْرُوضَةِ رَفْعُ
الْعَنْتِ وَالْخَرْجِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/477.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 3/590.

(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/395.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، "فقوله: ﴿وَلَشْكُرُوا﴾ علة الأمر بمراعاة العدة، ﴿وَلَشْكُرُوا﴾ علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللّف لطيف المسلك، لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النّقاب المحدث من علماء البيان"⁽¹⁾.

وجعل آخر التعليلات قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهو أعمّ من مضمون قوله: ﴿وَلَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَانَا﴾، "فإنّ التكبير تعظيم يتضمّن شكرًا، والشكر أعمّ؛ لأنّه يكون بالأقوال التي فيها تعظيم لله تعالى، ويكون بفعل القرب من الصدقات في أيام الصيام وأيام الفطر"⁽²⁾.

دلالة الكناية في إثبات الأَكْبَرِيَّة لله بكلمة (الله أَكْبَرُ):

قول الله تعالى: ﴿وَلَشْكُرُوا﴾ فعل مصدره: التكبير، وهو بزنة التفعيل، وهذا الوزن يأتي مرادًا به الجعل، ويأتي ويراد به النسبة والوصف - كما في هذا الموضع -، والمعنى: انسبوا الله تعالى إلى الكبر، وهي نسبة بالقول والقلب، والمراد بالتكبير: "العظمة والجلال والتّزّيّه عن النّقائص كلّها، أي: لتصفوا الله بالعظمة، وذلك بأنّ تقولوا: الله أكبر"⁽³⁾.

إِفْرَادُ اللَّهِ
تَعَالَى بِالرَّبُّوبِيَّةِ
يَسْتَلْزِمُ إِفْرَادَهُ
سُبْحَانَهُ
بِالْأُلُوهِيَّةِ

وفي إثبات الأعظميّة والأَكْبَرِيَّة لله تعالى في قول القائل: (الله أكبر) كناية عن وحدانيّته سبحانه في ألوهيّته، ووجه ذلك: "أنّ التّفْضِيلَ يَسْتَلْزِمُ نَقْصَانَ مَنْ عَدَاهُ، وَالنَّاقِصُ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ لِلْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَتَهَا لَا تُلَاقِي شَيْئًا مِنَ النّقْصِ، وَلِذَلِكَ شَرَعَ التَّكْبِيرُ فِي الصَّلَاةِ، لِإِبْطَالِ السُّجُودِ لغير الله، وَشَرَعَ التَّكْبِيرُ عِنْدَ نَحْرِ الْبُذْنِ فِي الْحَجِّ، لِإِبْطَالِ مَا كَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى أَصْنَامِهِمْ، وَكَذَلِكَ شَرَعَ

(1) الزّمخشرّي، الكشّاف: 1/228.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/177.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/176.

التَّكْبِيرُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الصِّيَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ⁽¹⁾، فهو من جملة ما اسْتَدِلَّ فيه بربوبية الله تعالى على ألوهيته.

دِلَالَةُ حَرْفِ الْجَرِّ ﴿عَلَى﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدٰكُمْ﴾:

عُدِّيَ فعلُ التَّكْبِيرِ بحرف الجرِّ (على) في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدٰكُمْ﴾ وهو دالٌّ على الاستعلاء؛ "لكونه مضمناً معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم"⁽²⁾.

ويجوز أن يُرادَ بالتَّعْظِيمِ ههنا الأمرُ بالشُّكر؛ وذلك لما أنعم الله تعالى به على العبادِ مِنْ صنوفِ النِّعم؛ من التَّوْحِيدِ والإسلام وغيره⁽³⁾، قال الرَّاغِبُ الأصفهاني: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدٰكُمْ﴾، ولم يرد به التَّفَوُّهُ بلفظ التَّكْبِيرِ فقط، بل أراد معرفة كبريائه وعظمته، وإن كان فيه دلالة أنَّ التَّكْبِيرَ مستحبٌّ⁽⁴⁾.

تَكْبِيرُ اللَّهِ تَعَالَى
يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ
مَعًا لَا بِاللِّسَانِ
وَحْدَهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/176.

(2) الرَّمْخُسَرِيُّ، الكَشَاف: 1/228.

(3) اللاتريدي، تفسير اللاتريدي: 2/47.

(4) الرَّاغِبُ، تفسير الرَّاغِب: 1/943.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 3، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-54-5

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 3: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-798-54-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»